## القص للأطفال وشروطه

تحتل القصة المروية منها والمقروءة المكانة الأولى في أدب الأطفال، وهذا الإبداع المقدم للطفل, ومن خلال محموله يشكل رسالة ذات أبعاد وأهداف مختلفة:

1- إن القصة كما هو معروف تصوير لحدث ذي مراحل متغيرة، يحدث فيه الانتقال من حال إلى أخرى، وضمن تحاقب زمني معين، وداخل إطار مكاني خاص بها، وإذا غاب عنها الفعل أو الحدث؛ سقط منها أهم ركن فيها, وأصبح ما يقال عبارة عن وصف.

2- وهي أيضا "تجريد لأنها تتلفظ وتروى من قبل شخص ما ولا يمكن أن توجد بذاتها ولذاتها"[1], وتكون منسوبة إلى شخصيات ذات تجارب واقعية أو متخيلة، وذات صلة بواقع الطفل, واهتماماته وتصوراته.

3- إذا كانت القصة مصحوبة بالصور فإنها تكون معمقة للإحساس, مساهمة في فعل التوصيل, قائمة بوظيفة الإفهام, مشكلة ومرتبطة بمرجعيات يعرفها الطفل فإنه يتخذها ركائز في تفسيره للقصة، وتكون له معينا للتواصل مع كل ما فيها، ولذلك قيل عن الأطفال" أنهم إذا كانوا لا ينسون ما يقرؤونه فكيف ينسون ما يرونه"[2].

ومن البديهي أن يكون لمجموع ما في القصة أثره على الطفل، ويمكن أن "يحدث ردة فعل في حياة القارئ الصغير بشكل قطعي ليس فقط لأنه سيظل يتذكر ذلك الإغراء الأول أحيانا كثيرة... وإنما لأن لردة الفعل هذه نتائج عملية، إذ تبرز ميولا واتجاهات في الحياة، وتصميمات وغايات مستقبلية"[3], فالطفل المؤول للقصة يكون بين الواقعي والخيالي, وبين العادي

---

1- قاسم المقداد: التحليل السيميائي للقصة، مجلة الموقف الأدبي, سوريا, العدد 272, السنة 23 كانون الأول 1993. ص:20.

2- سيسيليا ميرايل: مشكلات الأدب الطفلي، تر: مها عرنوق, دمشق, د ط, 1997. ص: 128.

3- سيسيليا ميرايل: مشكلات الأدب الطفلي. ص: 121.

والعجيب، وبين المألوف وغير المألوف؛ مما يدفعه للتساؤل ومحاولة معرفة الأشياء, وفرزها فتتداخل تلك الأشياء وتترابط.

ولذلك يجب على هذه القصة الموجهة إلى مؤول طفل؛ أن تحقق أهدافا, وأن تتوفر على بعض الشروط والخصائص المتعلقة بمضمونها ولغتها، وبتجارب مؤولها, وكيفية تفاعله معها وبناء تصوراته المرتبطة بها.

1- تحاول توجيه الطفل إلى أهداف وغايات معينة, كما تسعى لإبعاده عن توجه معين؛ من خلال الترغيب، لأن"الطفل بحكم بنائه النفسي الغض أميل إلى أن يتأثر بالجانب الإغرائي في الرسالة، والجانب الإغرائي يتضمن الإثابة والعقاب؛ أي تحقيق متعة أو معاناة، وهذا أحد جوانب البعد الجمالي فيها"[4].

2- تعتبر القصة مهمة؛ نفسيا وذهنيا، وشيئا لابد منه للطفل، بتعدد موضوعاتها واختلاف أهدافها ومقاصدها وغاياتها؛ فمنها الدينية والعلمية والتاريخية والاجتماعية وقصص الخيال العلمي والمغامرات.

3- تعد القصة سجلا لعالم الذكريات؛ الذي يتداخل فيه الماضي والحاضر والمستقبل, وتتداعى فيها الأشياء مختلفة عن صياغتها المنطقية، ويثير ذلك الطفل فيترك لخياله حرية الاسترجاع والتصور.

ولكي تضطلع القصة بمهمتها وجب أن تتوفر على شروط منها:

1- يشترط فيما يقدم للطفل أن يكون متجانسا في جميع جوانبه متوفرا على العناصر التي يتطلبها كل جنس من أجناس أدبه قصة شعرا صورا متحركة أدبا تفاعليا ألعابا حاسوبيا.

2- أن تتوفر على شروط منطق الطفل؛ من حيث:

---

4- إسماعيل عبد الفتاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر. ص: 60.

أ/ اتفاقها والنموذج الذي يرسمه عنها؛ فيحتذي بها, ويعدل من سلوكه بعد أن يطلع عليها، وأن يتم نقل الطفل عبر الزمان والمكان بلغة يعرفها وترتبط بشعوره ومدركاته.

ب/ فإذا كان كل ما تصبو إليه القصة محبوكا بمنطق الطفل؛ فإن ذلك سيمكنه من تصورها وفهمها وربطها بالواقع حتى وإن كان كل شيء فيها خياليا، ويكون ذا تأثير بالغ في تكوينه العقلي والنفسي وتربيته الاجتماعية، وتفتح قريحته على المستقبل، وبناء شخصيته.

3- أن تكون مضامينها غير ضبابية ومعقدة؛ فحين يدركها تؤثر فيه, وتدعوه لمزيد من المطالعة، وأن تكون موصولة بمستوى الطفل واهتماماته وخبراته، والخيال فيها متسقا وتصوراته.

4- أن تكون الرسوم والصور والألوان وطريقة تنظيمها وإخراجها والورق المستخدم، هي مما يستهوي الطفل ويحبه، ويكون كل ذلك مناسبا لمختلف مراحل أعمار الطفل.

5- المضمون: إن المضمون الذي تهدف إليه قصة الأطفال شيء مهم لتربية الطفل وتثقيفه, وذلك من خلال تعريفه بالعالم الخارجي وما يرى فيه، وإكسابه المعارف التي تمكنه من التعامل مع مختلف المواقف؛ وذلك يحقق له التوازن النفسي والاجتماعي.

أ/ حتى يتحقق ذلك يجب أن يكون تواصل الطفل مع ذلك المضمون من خلال استدعائه لمجموعة من الاستدلالات الذاتية أو المعارف الخاصة، أو لما هو معروف لتلك الوحدات الدلالية الموجودة في القصة, وربطها بذاته ومدركاته وتجاربه وبالتالي الإقبال على شيء أو الامتناع عنه، ويحدث ذلك من خلال تصوره للأشياء، فهو يرى الشيء على صورة معينة، فيتمنى أن يكون على شاكلة ذلك النموذج أو مخالفا له.

ب/ أن يرتبط مضمون القصة بكل مرحلة من مراحل نمو الطفل؛ فمن الضروري على الموضوع الذي يوجه إلى الأطفال أن يميز بين الأشياء, وأن يعين حدود أشكالها وهيئاتها

وعوالمها, بعيدا عن كل ما من شأنه أن يحدث تشويشا أثناء التعبير أو الرسم؛ لأن ذلك يخل بعملية الإدراك والتركيز والتفسير.

ج/ أن يرتبط ذلك بمجتمعه وتجاربه وحياته وفضوله وتخيلاته؛ فمثلا بالنسبة لطفل السابعة يبدأ التخيل لديه فيما وراء الظواهر الطبيعية والواقعية، فيتخيل ما لا يعرفه منها وقد تكون غير مألوفة لديه، ومع ذلك يمكن أن يتصورها.

د/ أن يكون مضمون القصة متطور الأحداث مجمعا في نقطة ما ينبثق عنها الحل، ويتحقق ذلك في القصة من خلال فعل الصراع، أو إظهار المتناقضات وتقابلات الأشياء، أو لتضاد بينها، وينتج عن هذه الأشياء النهاية المركزة والحل الذي يتوخاه الطفل.

6- لغة القصة: لا يتأتي ذلك للطفل إلا إذا كانت لغة القصة لغة سليمة في استخدام القواعد حتى لا يحدث تعطيل في التواصل مع رموزها وذلك من خلال:

ا/ الاستعمال الصحيح والدقيق لقواعد الاستخدام اللغوي من أصوات ونحو وصرف وتركيب ودلالة، واستعمال للمجاز, لأن اللغة بتوفرها على قواعد الكتابة تعد الوسيلة التي تتم بها عملية التواصل بين المؤلف والطفل؛ لذلك على الأديب الأخذ "بالاعتبارات الفنية والتكتيكية المتعلقة بنوع الوسيط الذي من خلاله يحدث فعل التلقي"[5].

ب/ أن يكون متصلا بتصورات الأطفال، وهذا ما يمكنهم من معرفة ما وراء الرموز والأشياء من معان، ويجدون متعة فيما لم يقصد الكاتب صراحة، ويساعد ذلك على تنمية ملكة الخيال لديهم على أن تكون في مستوى إدراك ونمو الطفل ومستواه اللغوي الثقافي، فليس بالإمكان أن نقول مثلا: إن البنات ذكور؛ فهذا غير مستقيم دلاليا وليس بإمكانه أن يعبر عند الطفل عن تناقض بل يجب أن يكون محتوى الشيء له قابلية التضمين الدلالي, وهذا يعود

---

5- حنان عبد الحميد العناني: أدب الأطفال. ص:64.

للخاصية اللغوية, وخاصية اللفظ الذي يتضمن بعض الخاصيات بمقتضى العلاقة الدلالية لمحتوى لفظ إنسان الذي يحتوي الرجل والمرأة ومنه الذكر والأنثى.

ج/ ولذلك يجب أن تكون اللغة رافعة للبس عند الطفل محددة للأشياء بالشكل الذي يفهمه ويريده الطفل أثناء "عملية القراءة التي هي عملية نفسية لغوية معقدة في تحليل الرموز، وإعادة التركيب؛ لارتباطها بعدد من المهارات العقلية كالإدراك والتذكر والفهم والاستنتاج"[6] وأن تتناسب مع الشخصيات التي يحكى على لسانها، وما يجري من حوار بينها.

7- الشخصيات: يجب على هذه الشخصيات أن تكون منتقاة محببة عند الأطفال تتفق والنموذج الذي يرسمه الطفل لها، وكلما كان التشخيص خاضعا لقواعد كيفيات تصوير الأشياء؛ كان ذلك أكثر إقناعا للطفل, وكان علامة من علامات القصة الجيدة، ومكنه من معرفة الأبعاد المختلفة والجوانب المتعددة للشخصية وللشيء المشخص.

أ/ أن تكون الشخصية واقعية في حقيقتها ووهميتها، وقابلة للتصور, واحتمال ما تقوم به من خلال توفير منطق يجعلها ممكنة الوجود، وذلك ما يقوي رغبة الطفل على متابعتها وحبها، والرغبة في مشاركتها أفعالها وأقوالها, وحركاتها وسكناتها، وذلك "عن طريق وصف أفكارها، وبيان أفكار الآخرين عنها بواسطة ما تقوم به من أحداث داخل القصة"[7].

ب/ وإذا توفرت الشخصيات على مثل هذه الوقائع؛ فإنها تكون أكثر ارتباطا بكيانه النفسي؛ لذلك تجد الأطفال يحبون شخصيات معينة، ويرغبون في أن تكون متفوقة دائما، ويفرحون لانتصارها ويحزنون لإخفاقها، ولا يحبون رؤيتها أو تصورها في مواقف يكرهونها.

---

6- سمير روحي الفيصل: أدب الأطفال وثقافتهم، ومنشورات إتحاد الكتاب العرب, سوريا, د ط, 1998. ص: 74.

7- علي الحديدي: في أدب الأطفال. ص:127.

8- الانسجام: وتزداد تلك الجوانب كثافة كلما توفرت القصة على عناصر الانسجام؛ في بنيتها ومضمونها، وأحداثها وشخصياتها ومكانها، وقواعد الضبط بالشكل، وحجم القصة والرسوم المصاحبة له، كأن تكون الرسوم في أعلى الصفحة والكتابة في أسفلها، وهذا يعود أساسا لجمالية تلقي الطفل لهذا النوع من القصص، فمثلا: بالنسبة للأطفال الأقل من تسع سنوات؛ يجب أن تكون القصة محدودة الأسطر، وأن لا يزيد عددها عن ثلاثة في الصفحة، وأن تقع أسفل الصورة مع مراعاة بيان الكلمات بالحركات الإعرابية، والتشكيل الجيد للخط والرسم، وكلما كان ذلك أكثر ارتباطا بالمنطق الخاص للطفل كان إقباله على مضامينها ومقاصدها أكثر.